

مدخل

ما وقعت عيناي يوماً على موسوعة « تاريخ الحضارات الدام » في مجلداتها السبعة وهي التي ظهرت أصلاً بالفرنسية ، عن « المطبوعات الجامعية الفرنسية » في باريس حتى تولتني نشوة من الغبطة تمنيت معها ان يلهم الله ناشرأ يتولى نقلها الى لغة الضاد فيمُدّ المكتبة العربية ، ولا سيما باب التاريخ منها ، يرجع هام من مراجع التاريخ العام تناهد فريق من كبار الاخصائيين وأعلام اساتذة التاريخ في جامعات فرنسا على وضعه على مثل هذا النحو الآسر من العرض والتركيز والتأليف هو أقرب الى تحليل حوادث التاريخ وتعليلها وفلسفتها ، من السرد المبسط .

وما كنت لأقنط ، وانا أستسلم هذه الاماني العراض والرؤى العذاب ، في ان يقبض الله لاحدى دور النشر في لبنان فتضطلع بهذه الرسالة وينقطع لها بالرغم مما دون هذا العمل من صعب وأعباء : مادية وأدبية ومالية ، وروحية وثقافية وتقنية ، لا بد من التغلب عليها ، من ناشر عربي يعرف قيمة الكتاب ، متبين لأهميته ، مؤمن برسالته التثقيفية والتهديبية ، لا يهاب المصاعب فيلقاها بصدر عامر بالايان ، اقتناعاً منه بأهمية هذا العمل الذي ندب له نفسه .

كنت يوماً ، من نحو سنتين ، في حديث مع صديقي صاحب هذه الدار ، حول حاجات الثقافة العربية في عصرنا هذا ، ووجوب تزويد مكتبتنا العربية ، بكتب ثمينة ، دسمة متعافية ، رزينة ، رصينة ، إما وضعاً وتأليفاً ، واما نقلاً وتعريباً عن اللغات الاجنبية . واخذنا نستعرض معاً هذا التيار الجارف والفيض العارم من الترجمات النجاف تلفظها المطابع ودور النشر في العالم العربي وتنزلها الى الاسواق ، بحيث أصبحت المترجمات اليوم ٩٠ ٪ من مجموع انتاج العصر في العالم العربي اليوم وأكثرها هشيم من سقط المتاع بعد ان كان تهشيماً للأصل ، تحفى عليك معاملة لما في الترجمة من تلاعب وتغيير وتعديل وتحريف واجتزاء ، في عملية عبث وسطو ، دونما رقيب او حسيب .

وبعد ان امتد الحديث بيننا نستعرض معاً حاجات ثقافتنا العربية والوضع المؤسف الذي تدرى فيه حركة الترجمة اليوم ، في العالم العربي ، اذ بصاحبي يسدّد نظره اليّ ويسأل قائلاً : « هل تعرف الموسوعة التاريخية « تاريخ الحضارات العام » التي صدرت تحت اشراف موريس كروزيه - فقلت نعم ، وهي عندي في مكتبتي الخاصة . فقال : « وما رأيك في أمر ترجمتها الى العربية ؟ » . فقلت : « حلم جميل » انما دونه خرط القتاد » اذ ان نقل موسوعة تاريخية على مثل هذا الاتساع تتألف من سبعة مجلدات ضخمة كل مجلد يزيد . على ثمانمائة صفحة ويبلغ مجموع صفحاتها ٥٦٠٠ صفحة ليس بالأمر اليسير . ان مشروعاً على هذه الضخامة ، يقتضي له شرائط عديدة منها فريق مصطفى من النقلة والمترجمين يجيدون العربية والفرنسية متخصصين بالتاريخ ، ونفقات عالية طائلة ، وجلد مرير ومعاناة موصولة ، وفوق هذا ، والى هذا كله ، قلب عامر بالايان الحي ، الهيمي ، والغيرة النيرة على الثقافة العربية . قلت هذا وقرست في صاحبي فاذا بعيني تشعان نوراً وایماناً وصدق عزيمة .

وما هو المجلد الثاني من هذه الموسوعة التاريخية يطل على القارئ العربي بعد ان رحب

بحرارة ، مطلع المجلد الاول ، في اواخر السنة الماضية ، رافلاً بمثل هذه الحلة القشبية من الاخراج الحفي ، بعد ان بذل في سبيل اخراجه ، ما يُبذل من عناية وسهر وصبر طويل وبذل كريم . يشهد الله ، وهو خير الشهود ، على ما رافق ترجمة هذا الكتاب من جهد وحرص على الاصل والدقة في النقل ، بحيث يمكن ان نؤكد للقارئ الكريم ان كل كلمة في الاصل الفرنسي نقلت الى العربية بعبارة سهلة صحيحة رشيقة ، دونما ركاكة او عجمة او تعقّد . ولا شك عندنا في ان النقد العلمي سيقول كلمته في هذا العمل بحيث يعرف الناس ما استنفذ اخراج هذا السفر من جهد وسهر وعناية ليخرج على مثل هذا النحو من الدقة والضبط ، وهي من بعض الصفات التي تحلت به منشورات دار عويدات ، في بيروت ، وما تفرّدت به .

يطيب لنا ان ننوه هنا ببعض ما لقي الجزء الاول من هذه الموسوعة من ترحيب النقد الادبي له . فقد نشر اديب فلسطين المشهور الاستاذ عيسى الناعوري ، وهو في الطليعة من رجال الفكر والادب في الاردن ، اليوم ، كلمة في مجلة « الاديب » الغراء ، في عدد يوليو ١٩٦٤ ، في الصفحة ٥٩ - ٦٠ ، ما يلي مخاطباً صاحب الدار الاستاذ احمد عويدات :

« لقد زوّدت المكتبة العربية بهذه الآثار العلمية النفيسة ، في ترجمات أمينة ، وافية ، لا تختلف عن الاصل في غير الحروف التي كتبت بها . . . وأنا أعلم انك تقوم بهذا الجهد الكبير الضخم منفرداً ، وأعرف ما تلاقبه في ذلك من عناء متواصل ، ومن سهر طويل ، وما تبذل فيه الى جانب الجهد والعرق والسهر ، من مال ، ومعرفتي هذه تضاعف من تقديري لعملك ومن اعجابي الكبير به . ويزيد من اعجابي وتقديري ، ذلك العمل الضخم الجبار الذي انصرفت اليه اخيراً ، بكل بذل وتضحية ، وهو توكليتك نشر موسوعة « تاريخ الحضارات العام » الذي اصدرت منه حتى الآن الجزء الاول ، في قرابة ٧٢٠ صفحة من القطع الكبير ، وفي حلة رائعة من الاناقة الدالة على شدة عنايتك بالكتاب . . . وهو كتاب جدير بعنايتك واهتمامك حقاً . وانا ارجو مخلصاً ان يمينك الله على انجاز جميع اجزائه . فهو ثروة نفيسة للمكتبة العربية التي تقتقر الى مثل هذا الأثر الضخم الجامع . وآمل ان يجد عمك من تقدير المؤسسات الثقافية العربية والقراء ما يكافىء جهديك المبارك وخدمتك الجليلة . اقول هذا ، وانا اذكر ان الجهود المخلصة يندر ان تجد من يهتم بمكافأتها ، وتشجيعها . . .

عندكم في لبنان جوائز أصدقاء الكتاب ، ولكن الناشر المحترم المخلص لا ينال شيئاً منها كما ينال المؤلف . ان الجمعية تعتبر المؤلف وحده من «أصدقاء الكتاب» او من «اهل الكتاب» . . . لا ادري . ولكنها لا تعتبر الناشر مثل ذلك . فليتها تهتم بالناشر اهتمامها بالكتاب والمؤلف ، لأراك تنال من تقديرها - وهو أضعف الايمان - ما يثلج نفسك ، ويشجعك على المضي في الدرب النبيل الذي تسلكه مجاهداً مؤمناً بقيمة العمل الذي تؤديه لأمتك .

ونحن اذ نشارك الاستاذ الناعوري آماله وأمانيه نتمنى معه ان يتم اخراج هذه الموسوعة التاريخية ، على مثل هذا النحى خدمة للثقافة العربية والدراسات التاريخية الاصلية .

يوسف اسعد داغر

بيروت في ١٩٦٤/٧/٣٠